

شبكة الألوكة / ثقافة ومعرفة / فكر



منهج المدرسة العقلية (الحديثة) وتقويمها في الإصلاح المعاصر

أ.د. عبدالله بن إبراهيم بن علي الطريقي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 17/6/2013 ميلادي - 8/8/1434 هجري

الزيارات: 87983



منهج المدرسة العقلية (الحديثة) في الإصلاح المعاصر

لمحات من مناهج الإصلاح المعاصرة وأثر العلماء في توجيهها وتقويمها (4)

نشأت هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري في مصر على يد الأستاذين: جمال الدين الأفغاني (1254 - 1315 هـ)، ومحمد عبده (1266 - 1323 هـ).

وجاءت نشأة هذه المدرسة إبان ضعف الدولة العثمانية، وفي حالة للأمة يَغمرها الجهل والتخلف.

هذا في الوقت الذي كان فيه الغرب (العالم النصراني) يتقدّم في الماديات بصورة مذهلة.

فكان موقف هذه المدرسة محاولة التأقلم مع التوفيق تلك الحضارة الوافدة مع الإبقاء على الانتماء الإسلامي، فدعت إلى الأخذ بتلك الحضارة، متأولة ما يتعارض معها من نصوص شرعية.

إنها كما يقول الشيخ محمد حسين الذهبي - رحمه الله - (ت 1397 هـ): "أعطت لعقلها حرية واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلاحياتها لكلّ ممكن، كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنّت في الحديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة" [1].

وقد شابته المعتزلة من وجوه:

أ- في تحكيم العقل والرجوع إلى أحكامه، ورفعته إلى مرتبة الوحي.

ب- في إنكار بعض المعجزات أو تأويلها.

ج- في تأويل بعض الغيبيات كالملائكة والجن والسّحر.

د- في ردّ بعض الأحاديث الصحيحة أو تأويلها [2].

ولقد تأثر بهذه المدرسة كثيرون، وفي مقدمتهم تلامذة الشيخ محمد عبده، مثل:

محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)، ومحمد مصطفى المراغي (ت 1364هـ)، ومحمد فريد وجدي (ت 1373هـ) وعبدالقادر المغربي (ت 1375هـ)، وقاسم أمين (ت 1326هـ)، ومحمود شلتوت (ت 1383هـ)، وأحمد الباقوري (ت 1405هـ)، وعبدالمعتال الصعيدي (ت 1377هـ)، ومنهم رجال أحياء لا يُحصىون كثرة.

ولقد يوجد بعض الجماعات التي تأثرت بهذه المدرسة، ومنها: جمعية النهضة أو حركة الاتجاه الإسلامي بتونس [3].

ومما يلاحظ أن أتباع هذه المدرسة ذور اهتمامات مختلفة، فمنهم السياسيون، ومنهم الصحفيون، ومنهم الأدباء، هؤلاء فضلاً عن العلماء والمفكرين الإسلاميين.

تقويم المدرسة العقلية وأثر العلماء في توجيهها

تناولت أقلام كثيرة هذه المدرسة بين مدحٍ وقذح، أو بين توجيهٍ وتسديد، مع اختلاف في هذه الأقلام من حيث التخصصات، حيث تجد قلم المفسّر، وقلم المُحدِّث، وقلم العقدي، وقلم الأديب والمؤرخ... إلخ.

كما أن هذه الأقلام ربما تناولت المدرسة بصفة عامة، وربما تناولت بعض عناصرها من الشخصيات البارزة.

وإذا كان من العسير بل المتعذّر عرض المدرسة بأصولها وأهدافها ووسائلها وآثارها، ودراسة ذلك بموضوعية مجردة.

فإننا نكتفي في هذه العجالة بخلاصة مُستخلّصة عنها، ولا سيما أننا جئنا على توصيفٍ له كان دقيقاً عن المدرسة.

ولعل من أقدم من نقد هذه المدرسة ووجّه إليها الاتهام:

1- الشيخ محمد عlish المالكي (ت 1299)، الذي عاصر الأفغاني ومحمد عبده وكان يُحذّر منهما ومن منهجهما [4].

2- مصطفى صبري، آخر مشايخ الدولة العثمانية.

فقد شبّه الأفغاني ومحمد عبده بلوثر مجدد البروتستانت [5]، واعتبر محمد عبده أول من أدخل الماسونية في الأزهر، وهو الذي شجّع تلميذه قاسم أمين على ترويج السفور وتأليف كتبه في المرأة [6].

3- الدكتور محمد حسين الذهبي.

وقد سبق رأيه في المدرسة في أولاً من المبحث الأول.

4- الأستاذ سيد قطب.

حيث نقد منهج المدرسة في التأويل [7].

5- الأستاذ الدكتور: فهد بن عبدالرحمن الرومي في أطروحته للدكتوراه والمعنونة بـ "منهج المدرسة الحديثة في التفسير".

وفي مقابل هؤلاء نجد مَنْ يُبالغ في الثناء والإطراء على هذه المدرسة، وبخاصة رؤاها الأوائل، ومن هؤلاء الدكتور محسن عبدالحميد، ومحمد عمارة، وكأنهم يُشكِّكون في صحة ما تُسبب إلى المدرسة من عيوب، أو لا يتوقَّفون عندها، وجملة القول أن المدرسة على الرغم مما قدَّمت من جهود علمية وعملية في سبيل الإصلاح، إلا أن المنهج والطريق كان فيهما انحراف ظاهر [8]، ولا ينفي ذلك وجود المحاسن والإيجابيات الفكرية والنهضوية للمدرسة.

[1] التفسير والمفسرون (2: 549).

[2] انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير؛ د. فهد الرومي (ص: 810).

[3] انظر: مجلة المجتمع الكويتية العدد 538 الصادرة في 11/10/1401 هـ (ص: 18 - 25).

[4] ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام؛ للشيخ رشيد رضا (1: 90).

[5] موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين؛ مصطفى صبري (1: 144).

[6] المرجع السابق (1: 133 - 134).

[7] انظر: في ظلال القرآن (ص: 3987) الطبعة الرابعة.

[8] يراجع: العقلانيون أفرار المعتزلة العصريون؛ علي حسن عبدالحميد.

حقوق النشر محفوظة © 1445 هـ / 2024 م لموقع [الألوكة](http://www.alukah.net)
آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 28/9/1445 هـ - الساعة: 17:29